أو يوم «النهروان » ، أو بعد ذلك من أفول العصر فى يوم « الزاب الأكبر » ونهاية خلافة بنى أمية ، إلى غير ذلك من أحداث غيرت طبيعة مجرى الحياة السياسية فى المنطقة العربية . ، إذ ربما بدا هذا الهجاء السياسى - فى بعض الفترات - محصورا فى رفع الشاعر لشكوى الرعية إلى الخليفة ، أو انتقاد حكمه من خلال التعريض بأحد الولاة ، مما تحكيها لنا هجائيات الشعراء للولاة فى عصر بنى أمية ، أو الإكثار من تصوير سلبيات الحياة الاقتصادية ، أو مثل تلك الشكوى التى رفعها أبو العتاهية إلى الخليفة المهدى نيابة عن الرعية ، أو غير ذلك من شعر يقف عند تصوير أبعاد من الضعف الذى آل إليه أمر الخليفة العباسى كما حدث مع ولاية المعتز والمستعين وغيرهما ، وقس على هذه النماذج هجائيات الشعراء - شعراء الخلافة - للأسر الفارسية ، خاصة البرامكة بعد تنكيبهم فى عصر الرشيد ، أو تحولهم إلى ساحة الهجائيات الفردية على طريقة ابن الرومى ، على مافيها من ضروب السخرية والتهكم ، وما احتوته من أنماط جديدة من النقد الأخلاقى أو الاجتماعى لشخصية المهجو فى صور جديدة عُرفت للشاعر وعرف هو نفسه بها .

وربما انصرف الهجاء السياسى إلى باب آخر من التعصب العنصرى ، وعندئذ يدخل ضمن سياج المعارك الكبرى والصراعات الممتدة بين العصبات المختلفة ، على نحو مما بدا لنا فى تاريخ الشعوبية ، وهجاء الشاعر الشعوبى للأعرابى قاصدا بلغته الهجائية إلى العرب جميعا[1] ، وهو ما تحوّل إلى ظاهرة سائدة لدى كثير من شعراء الموالى طيلة العصرين العباسيّيْن الأول والثانى ، وهو ما وجُد له رد فعل طبيعى من خلال كبار شعراء العصر أيضا ، وكذا من خلال كبار كُتابه .

أما بقية ضروب الهجاء - على المستويات الفردية أو الجماعية - فتظل غارقة فى محاورها الاجتماعية أو الأخلاقية ، أو فى دائرة الهجاء الدينى إلى جانب قضايا النسب والانتماء ، مما مثّل قاسما مشتركا بين الشعراء بضم تلك المتفرقات فى صورة نوع واحد من تلك الأنواع الهجائية ، إلاّ ما بدا منها شديد التميُّز حين بدا شديد اللهجة صارخها ، وقد أحالها إلى لغة مريرة تحكى مرارة نفس الشاعر الطموح الهجّاء ، خاصة حين يفشل فى نيل ولاية ما لدى ممدوحه لينقلب ضده إلى هجّاء سياسى ينال من شخصة وقومه ورعاياه بأقذع

(١) تراجع هجائية بشار مع الأعرابى فى كتابنا « أشكال الصراع فى القصيدة العربية جـ٣ » ضمن باب الشعوبية .